التَّكرار والجناس انفصال أم اتصال

"قراءة في ضوء تراثنا البلاغي"

بقلم د. ايهاب عبد العال ابراهيم

قسم اللغة العربية-كلية الآداب-جامعة حلوان

د.إيهاب عبدالعال

مقدمة:

حظى التراث البلاغي بكم وافر من الجهود والدراسات التى وقفت عليه من قبل البلاغين، الذين قد أفردوا له مساحة كبيرة من درسهم، إذ تكمن أهميته فيما أودعوه من نظريات ومبادئ عامة شكلت خطوطه الرئيسة ومقاصده ومراميه ، وتتبع أهمية الدراسة من خلال إعادة قراءته بوصفه المنتج الرئيس لما استجد من نظريات بلاغية عديدة قد رفدها بمبادئه العامة ، وعليه جاءت الدراسة متتبعة لفنين من أهم فنونه التى ربما غض الطرف عنها عدد من الباحثين أو لم يضعوها في مكانها من الأهمية.

فجاءت هذه الدراسة لتكشف مدى التكامل والتوافق بين هذه الفنون البلاغية التى أولاها البلاغيون عناية فائقة من درسهم؛ لتترسخ قيمة التكامل والتواصل البلاغي ، وأثره الفعال في تشكيل الخطوط والمبادئ العامة، ولما كان الاهتمام بهذه الفنون كلية يعد أمرًا مهمًا، فإن الباحث قد حاول في دراسته أن يسلط الضوء على فنين من أهم الفنون البلاغية التى أسهمت في تعزيز أواصر التلاقي والتكامل، وهما التكرار والجناس.

وقد وجد التكرار طريقه من الأهمية؛ لما يتماز به من قدرة عالية في مجريات التلقى عبر الإعادة والترديد من خلال إبراز الفكرة وتوضيحها بدقة فى ذهن المتلقي ؛ وقد تبدت الإلماحات الأولى لأثره في مجال التلقى من خلال أهم التعريفات التى حملها اللغويون على عاتقهم حينما تعرضوا لهذه المفردة؛ فالتكرار عند الجوهرى يدور في دلالة الرجوع.(١)

١ - ينظر : الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)،ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م، مادة (كرر) ٨٠٥/٢

وإذا كان الجوهرى قد وقف على معنى الرجوع ؛ فإن ابن فارس قد وجد فى هذا المعنى سببًا رئيسًا للربط بين التكرار والترديد؛ فكر « أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى جَمْعٍ **وَتَرْدِيدٍ**. مِنْ ذَلِكَ كَرَرْتُ، وَذَلِكَ **رُجُوعُكَ** إِلَيْهِ بَعْدَ الْمَرَّةِ الْأُولَى،فَهُوَ **التَّرْدِيدُ** الَّذِي ذَكَرْنَاهُ.»(٢) فإن كان الكر –عنده– هو الرجوع، فكذلك الترديد؛ و» هُوَ **رَجْعُ** الشَّيْءِ. تَقُولُ: رَدَدْتُ الشَّيْءَ أَرُدُّهُ رَدًّا.»(٣) ذلك أن «(التَّرْدِيدُ) قياسٌ من رَدَّدَه، كَمَا صَرَّحَ بِهِ غيرُ واحدٍ. وَيُقَال: ردَّدَه تَرْدِيداً وتَرْداداً فَهُوَ مُرَدَّدٌ»(٤).

وهذا يدل على مدى الصلة بين الاثنين ؛ فهو واضح كذلك من الحديث الذى ورد فى مختار الصحاح حينما قال صاحبه أن « (الْكَرُّ) الرُّجُوعُ وَبَابُهُ رَدَّ»(٥) وهو حديث مهم؛ إذ إنه اكتفى أن يعين الكر بالرجوع وأحال القارئ إلى مادة (رد) لاستكمال ما للكلمة من معان فى هذا الباب؛ بما يدل على أن التكرار قد يكون الترديد.

وهو فى هذا يتخذ من معنى الرجوع تُكَأةً له فى هذه الصلة؛ إذ يقول عن الذى « (رَدَّ) إِلَيْهِ جَوَابًا رَجَعَ. وَ (رَدَّدَهُ تَرْدِيدًا) وَ (تَرْدَادًا) بِفَتْحِ التَّاءِ (فَتَرَدَّدَ) . وَ (الِارْتِدَادُ) الرُّجُوعُ.»(٦)؛ ومن ثم فإن المتكلم قد يعتمد فى توضيح فكرته عبرتوظيفه التكرار بوسيلتى الرجوع والترديد.

٢ - معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)،مرجع سابق،مادة(كرَّ)٥/ ١٢٦

٣ - نفسه، مادة (ردَّ)٢/ ٣٨٦

٤ - تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ،(د.ت)، ٩١/٨

٥ - مختار الصحاح: زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ)،ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة :الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م ،ص٢٦٨

٦ - نفسه ،مرجع سابق، ص١٢١

ويزيد ابن سيده على دلالتى الرجوع والترديد دلالتى العطف والإعادة ؛ف»كرّ عَلَيْهِ يكر كرا، وكرورا: وتكرارا: عطف.وكر عَنهُ: رَجَعَ....وَكرر الشَّيْء، وكركره: أعاده مرّة بعد أُخْرَى.(٧) بيد أن العسكرى يرى غير ذلك – وهو يسبقه زمانيًا – إذ نجده يفرق بين التكرار والإعادة من خلال «أَن التّكْرَار يَقع على إِعَادَة الشَّيْء مرّة وعَلى إِعَادَته مَرَّات والإعادة للمرة الْوَاحِدَة أَلا ترى أَن قَول الْقَائِل أعَاد فلَان كَذَا لَا يُفِيد إِلَّا إِعَادَته مرّة وَاحِدَة ،وَإِذا قَالَ كرر هَذَا كَانَ كَلَامه مُبْهما لم يدر أَعَادَهُ مرَّتَيْنِ أَو مَرَّات وَأَيْضًا فَإِنَّهُ يُقَال أَعَادَهُ مَرَّات وَلَا يُقَال كَرَّرَه مَرَّات.»(٨)

وما حديث صاحب المصباح عن هذا ببعيد حينما ربطه– أيضًا– بالتعدد، وإن كان قد خصه بالعموم بقوله «كَرُّ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَيْ عَوْدُهُمَا مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى وَمِنْهُ اُشْتُقَّ تَكْرِيرُ الشَّيْءِ وَهُوَ إعَادَتُهُ مِرَارًا وَالِاسْمُ التَّكْرَارُوَهُوَ يُشْبِهُ الْعُمُومَ مِنْ حَيْثُ التَّعَدُّدُ وَيُفَارِقُهُ بِأَنَّ الْعُمُومَ يَتَعَدَّدُ فِيهِ الْحُكْمُ بِتَعَدُّدِ أَفْرَادِ الشَّرْطِ لَا غَيْرُ وَالتَّكْرَارُ يَتَعَدَّدُ فِيهِ الْحُكْمُ بِتَجَدُّدِ الصِّفَةِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِتِلْكَ الْأَفْرَادِ».(٩)

فإذا كان العسكرى يقف على فرق دقيق من حيث أن التكرار، هو إعادة الفعل عدة مرات أما الإعادة فهى واحدة ، فهذا لا يعنى خروج التكرار عن دائرة الإعادة من دون النظر لعدد المرات ، ونتصور أن الذى حدا بابن سيده إلى تعين الكر بالعطف – فى حديثه السالف– قد يكون

٧ - المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]،ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م،٦٥٢/٦

٨ - الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة – مصر،(د.ت)،٣٩/١

٩ - المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلمية – بيروت،(د.ت)، ٥٣٠/٢ ،مِثاله كل من دَخل فله دِرْهَم فهَذَا عُمُومٌ بِالنِّسْبَةِ إلَى الْأَفْرَادِ فَلَا يَسْتَحِقُّ الدَّاخِلُ بِدُخُولِهِ إلَّا مَرَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَتَجَدَّدُ بِتَجَدُّدِهِ مِنْهُ وَكُلَّمَا دَخَلَ أَحَدٌ فَلَهُ دِرْهَمٌ فَهَذَا تَكْرَارٌ يَتَعَدَّدُ بِتَعَدُّدِ دُخُولِ كُلِّ فَرْدٍ فَرْدٍ

اتصال المعنى بالكر فى الحرب بالشبه؛ فحديثه الذى ذكره عن الكر فى الحرب فى كتابه المخصص، قد يدلل لنا على ذلك؛ إذ وجدناه يقول «كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا عَطَف ورجُل كَرَّار وَكَذَلِكَ عَطَف عَلَيْهِ يَعْطِف عَطْفاً وَرجل عَطَّافُ يَحْمِي دُبُر الْقَوْم» (١٠).

وكذلك يقف الزمخشرى على الدلالة نفسها فى تعينه للكر؛ فكرر « انهزم عنه ثم كرّ عليه كروراً وكرّ عليه رمحه وفرسه كراً، وكرّ بعد ما فرّ، وهو مكرٌّ مفرٌّ، وكرّار فرّار. وكررت عليه الحديث كراً، وكرّرت عليه تكراراً، وكرّر على سمعه كذا، وتكرّر عليه.»(١١)

وإن كان ذلك لا يُخرجُ التكرارَ – الذى هو الرجوع– بشكل عام أيضًا عن معنى العطف فى سياقه العام من دون ارتهانه بالشبه الواقع بالكرى الحرب ؛ فـ» كَرَّ عليه كَرًّا وكُرُوراً وتَكْراراً: عَطَفَ»(١٢)، و» عَطَفَ يَعْطِفُ عَطْفاً انصرفَ ورجل عَطوف وعَطَّاف يَحْمِي المُنْهَزِمين وعطَف عليه يَعْطِفُ عَطفاً **رجع** عليه بما يكره أَوله بما يريد وتعطَّف عليه **وصَلَه** «(١٣) ذلك أن « أصلُ الكَرِّ العَطْفُ على الشَّيْء بالذَّات أَو بالفِعْل. كَذَا فِي البصائر.»(١٤) بل إن هناك ما يدل على أنه ثمة صلة بين معنى الرجوع والعطف والتكرار؛ كما يذكر لنا صاحب كتاب الأفعال بقوله عن «كرر: و كَرَّعن الشيء كُروراً رجع وعليه عَطَف».(١٥)

١٠ ـ المخصص، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨ هـ)،ت: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي ـ بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م،٢/٥٠

١١ ـ أساس البلاغة: أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ)،ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ ـ ١٩٩٨ م ، ٢ /١٢٨

١٢ ـ القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)،تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت ـ لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ ـ ٢٠٠٥ م، ص٤٦٩

١٣ ـ لسان العرب: مرجع سابق، مادة (عطف)،٤ /٢٩٩٦

١٤ ـ تاج العروس ،م .س ، مادة (كرر) ، ٣٠/١٤

١٥ ـ كتاب الأفعال: علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى:

وفى عبارة (وعليه عطف) كلام؛ ذلك أنه يُستدلُ من حرف الواو السابق على حرف العطف (وعليه) بما قد يدل على أن هذه العبارة ربما تكون بمثابة استنتاج أو نتيجة؛ فبما أن الكر هو الرجوع فمن ثم يتأتى معنى التعطف؛ إذ لو كان هذا غير ذلك، لقال صاحب كتاب الأفعال « كر عن الشئ كرورا رجع عليه وعطف» وذلك أن الواو فى عليه السابقة على الحرف من دون الفعل، تشعر بالسببية أى أن نتيجة لهذا الاتصال بين الكر والرجوع؛ وتأسيسًا على ذلك تم وقوع الشبه بالعطف وباعتماد الشبه بين الاثنين يحصل العطف.

بل إن سلمنا بهذه الصلة بين الاثنين فى السياق العام – أعنى التكرار والعطف– فإن هذا قد يصبغ على التكرار معنى الوصل والاتصال؛ ومن ثم **الالتحام والانسجام** وهما بدورهما من أهم العناصر التى تساعد على ترابط نسيج الرسالة/النص؛ وهو شرط مهم فى تحقق نجاح الرسالة من خلال عرضها على المتلقى منسجمة ومترابطة.

وإذ الكر – فيما سبق– قد دارت معانيه حول الرجوع والترديد، والعطف فإن من الطبيعى أن يجمع ابن منظور كل هذه المعانى، حينما تعرض لتعيين الكلمة فى اللسان فيقول أن « الكَرُّ: **الرُّجُوعُ.** يُقَالُ: كَرَّه وكَرَّ بِنَفْسِهِ، يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى. والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً: **عَطَفَ**. وكَرَّ عَنْهُ: رَجَعَ، وكَرّ عَلَى الْعَدُوِّ يَكُرُّ؛ وَرَجُلٌ كَرَّار ومِكَرّ، وَكَذَلِكَ الْفَرَسُ. وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: **أَعاده** مَرَّةً بَعْدَ أُخرى. والكَرَّةُ: المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إذا **رَدَّدْتُهُ** عَلَيْهِ. وكَرْكَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرةً إذا رَدَدْته. والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ. ابْنُ بُزُرجٍ: التَّكِرَّةُ بِمَعْنَى التَّكْرارِ وَكَذَلِكَ التَّسِرَّةوالتَّضِرَّة والتَّدِرَّة»(١٦)

٥١٥هـ)، عالم الكتب
،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م ،٩٩/٣
١٦ - لسان العرب، مرجع سابق ،مادة (كرر) ،٣٨٥١/٥

آثر الباحث أن يذكر بالتفصيل ما قاله ابن منظور ليستبين أهم المشتقات التى حملت المعنى نفسه، وبخاصة الكر والتكرير أى ذكره للكلمة بالتضعيف (كر) وبفك التضعيف (كرر) حتى لا تقتصر معانى الكر على سياق الحرب فحسب.

أما بالنظر لحديث الزبيدى فى تاجه ، فإننا قد نقف للتكرار عنده على عدة معانٍ لغوية قد تقترب، وتتداخل مع المعانى الاصطلاحية لهذه المفردة فقد وجدناه وقد نقل قول السيوطى، ومجموعة من علماء البلاغة كما يحكى عن التكرار فـ» كَرَّرَهُ فِعْلاً كَانَ أَو قولا، وتفسيرُه فِي كتبِ المَعاني بذِكْر الشيءِ مرَّةً بعد أُخرى اصطِلاحٌ مِنْهُم لَا لُغة، قَالَه عصامٌ فِي شرحِ القصارى... وَقَالَ السُّيوطيُّ فِي بعضِ أَجْوِبته: إنَّ التَّكْرَار هُوَ التَّجْديدُ لِلَّفْظِ الأوَّل ويُفيد ضَرْبَاً من التَّأْكِيد»(١٧)

وهو هنا يقف على نقاط مهمة تتصل بالغرض البلاغى للتأكيد من خلال إشارته إلى أهم العناصر الفنية للتكرار ؛ إذ يصف التكرار بأنه بمثابة التجديد للفظ الأول؛ وهنا شرط مهم يضعه لنا باعتبار أن اللفظ الثانى يجب أن يكون مجددًا للفظ الأول، وهذا لا يتم إلا من خلال تناغم السياق، وحينما يكون التكرار مطلوبًا من المعنى – كما سيأتى بالتفصيل فى مكانه إن شاء الله حينما أتحدث عن التكرار اصطلاحا- لا أن يأتى التكرار من دون حصول فائدة للسياق؛ ومن ثم يفيد التأكيد عبر هذا التجديد الذى يلبسه اللفظ الثانى للأول.

بل إننا إذ أمعنا النظر فيما نقله بين التكرار والتأكيد من اختلاف أثناء قول جماعة من عُلماء البَلاغة؛ لوجدناه وقد أشار للتكرار الهادف المؤكد الذى تحدث عنه كثيرٌ من البلاغيين ؛ فـ» ممَّا فرَّقوا بِهِ بَينهمَا: أنَّ التَّأْكِيد شَرْطُه الاتِّصال وأنْ لَا يُزاد على ثَلَاثَة،! والتَّكْرارُ يُخالِفُه فِي

١٧ ـ تاج العروس ، مرجع سابق ، (كرر) ١٤ /٢٧

الأمرَيْن، وَمن ثمَّ بَنَوْا على ذَلِك أنَّ قَوْلُهُ تَعالى: فبأيّ آلاءِ ربّكُما تُكَذِّبان تَكْرَار لَا تَأْكِيد، لأنَّها زادَتْ على ثَلَاثَة، وَكَذَا قولُه تَعَالَى: وَيْلٌ يَوْمَئذٍ للمُكَذِّبين قَالَ شيخُنا: وقولُه أعادَهُ مرَّةً بعدُ أُخرى هُوَ قَريبٌ من اصطلاحِ أهل الْمعَانِي والبَديع.»(١٨)

وهذا حديث جد مهم؛ إذ إنه يتجه إلى مناطق رئيسة تحقق للتكرار بعدًا ترجيحيًا بين التكرار فى حد ذاته، والتأكيد وهى إشارة بالغة الأهمية أتصور من خلالها أن التأكيد الذى يقصدونه ما يتوفر به شرطا الاتصال والعدد، الذى لا يزيد على ثلاث، هو محصول التكرار الهادف الذى يعمل على الإيصال، والتوضيح والذى لم يكن معادًا كثيرًا حتى تحصل الفائدة للمتلقى منه بإيجازه؛ وحتى لا يمل القارئ من طول عباراته ، وإن كنا نختلف من أجل أن التكرار الهادف لا يكون إلا من خلال حصول فائدة التأكيد؛ ومن ثم فلا فرق فى هذا المقام بينهما.

إذ يكون التأكيد ثمرة محصولة لهذا التكرار البليغ؛ ومن ثم فإن قوله تعالى الذى أورده صاحب التاج آنفا»﴿ فبأيّ آلاءِ ربّكُما تُكَذِّبان﴾ كرر الْآيَة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ مرّة ثَمَانِيَة مِنْهَا ذكرت عقيب آيَات فِيهَا تعداد عجائب خلق الله وبدائع صنعه ومبدأ الْخلق ومعادهم ثمَّ سَبْعَة مِنْهَا عقيب آيَات فِيهَا ذكر النَّار، وشدائدها على عدد أَبْوَاب جَهَنَّم وَحسن ذكر الآلاء عقيبها؛ لِأَن فِي صرفهَا وَدفعهَا نعما توازي النعم الْمَذْكُورَة أَو لِأَنَّهَا حلت بالأعداء وَذَلِكَ يعد أكبر النعماء وَبعد هَذِه السَّبْعَة ثَمَانِيَة فِي وصف الْجنان وَأَهْلهَا على عدد أَبْوَاب الْجنَّة ثَمَانِيَة أُخْرَى بعْدهَا للجنتين اللَّتَيْنِ دونهمَا »(١٩)

١٨ - نفسه ، والمادة نفسها ، ٢٧/١٤ ، ٢٨

١٩ - أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني، ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ)،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة،(د.ت)، ص٢٣١

وقوله تعالى﴿ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ للمُكَذِّبين﴾ ،وهو قول» مُكَرر عشرات مَرَّات لِأَن كل وَاحِد مِنْهَا ذكرت عقيب آيَة غير الأولى فَلَا يكون تَكْرَارا مستهجنا وَلَو لم يُكَرر كَانَ متوعدا على بعض دون بعض وَقيل إِن من عَادَة الْعَرَب التّكْرَار والإطناب كَمَا فِي عَادَتهم الِاقْتِصَار والإيجاز وَلِأَن بسط الْكَلَام فِي التَّرْغِيب والترهيب أدعى إِلَّا إِدْرَاك البغية من الإيجاز»(٢٠)

وقد أولى البلاغيون عناية كبيرة من دراستهم لهذه الظاهرة؛ وهذا راجع إلى وجودها فى القرآن الكريم والحديث الشريف، ومن خلال النظر فى تلك الجهود نجدها أنها تكاد أن تقترب من تلك المعانى المعجمية التى دارت حولها جهود اللغويين إلا أنهم قد استطاعوا أن يميزوا بين كثير، مما أوردنا فعن تفرقتهم للترديد والتكرار يقول ابن رشيق القيروانى(ت ٤٦٣) فى عمدته عن الترديد» هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يردها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه، أو في قسيم منه .»(٢١) وعلى هذا فالترديد يقع بين اللفظين المتقاربين فى الصورة اللفظية، ولكنهما يختلفان من جهة دلالة كل واحدة منهما على المعنى ، نظرًا لتعلق كل واحدة منهما بدلالة تستقل عن دلالة الأخرى .

أما التكرار فإنه قد يقع بين اللفظين المكررين لفظًا أومعنًا ؛ لذا وجدنا البلاغيين قد اهتموا بهذه الظاهرة أيما اهتمام، فوجدناهم يميزون بين التكرار المحمود الذى أتى لفائدة، وغيره يقول ابن رشيق فى هذه القضية «وللتكرار مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، فأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعانى، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه، ولا يجب للشاعر أن يكرر اسمًا إلا على جهة التشوق والاستعذاب.»(٢٢)

٢٠ - نفسه ،ص٢٤٤، ص٢٤٥

٢١ -العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ)،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م، ١/ ٣٣٣

٢٢ - نفسه، ٢ /٧٣- ٧٤

فابن رشيق فى نصه يضع لنا أهم السمات الرئيسة للتكرار المحمود، وهو أن يقع فى اللفظ من دون المعنى وهذا هو التكرار الذى أتى بفائدة ولكن هذه الفائدة قد قرنها بأن يأتى اللفظ مشوقًا ومُسْتَعذبًا ، أما إذا تم التكرار من جهة اللفظ والمعنى فهذا هو التكرار غير المحمود الذى لم يأت لإظهار فائدة أو منفعة فى السياق ، فحينها يصبح الكلام لا فائدة من ذكره ويصير إلى «مجرد ثرثرة لفظية ، لا تتقدم بالقصيدة بل ينوء كاهلها بعبء القول المعاد أو الأداء المكرر ، فتفقد بذلك توازنها الفني ، وتتسرب مكوناتها في تشقيق تكراري باهت. « (٢٣)

وهذه المنطقة- أعنى بها توظيف التكرار الهادف- بالغة الحذر؛ إذ يكون على صاحب النص دور جد مهم من خلال توظيفه للتكرار الذى ينأى، ويحاول بكل أشكاله وتحولاته ،أن يرأب الصدع بين الألفاظ المتناثرة المتكررة ؛ ليقى بهذا متن النص من الوقوع فى قوالب الثرثرة اللفظية الثابتة التى تشي بعدم تمكن الكاتب من ألفاظه وتحكمه فى مراميها ومقاصدها حسب السياق؛ مما ينتج خواءً دلاليًا داخل السياق وحشوًا وإطنابًا لفظيًا مملا وتكريرًا باهتًا أى منسوخًا من أصوله من غير فائدة ومنفعة دلالية جديدة؛ وربما هذا يجسد مذهب ابن رشيق فى الألفاظ المكررة التى تنسخ معانيها نفسها إلى الحد الذى دفعه بأن يصف هذا بالخذلان .

وربما هذا الذى دفعه - أيضًا- إلى التنقيب عن مواطن الاستعذاب والتشوق فى هذا السياق الذى يقربه من مواطن البلاغة بأن يكون اللفظ المكرر بليغًا، إذا عمل صاحبه على توجيهه للاستعذاب والتشوق، بل نصل من هذا الحديث إلى أكثر من هذا حينما ندرك أن من حديثه السالف لا نستبعد تأثير هذا التشكيل المستعذب فى المتلقى من خلال استعذابه - هو الآخر- نتيجة هيكلة اللفظ الذى صيغ للهدف نفسه.

٢٣ ـ رجاء عيد ، لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥، صـــ٧٧

فإذا كان ابن رشيق قد أولى هذه المسألة عناية فائقة من بحثه فأبان، ووضح مواطن الحسن والقبح للألفاظ المكررة ؛ فإن ابن الأثير (ت٦٣٧هـ) وهو متأخر عنه؛ قد فصل ووضح – كما أرى– لنا ما قاله ابن رشيق فى عمدته؛ إذ نجده يعمد – فى مقدمة الجزء الثالث من كتابه– إلى تفصيل ما أجمله ابن رشيق عن التكرار؛ فنجده يفصل القول بين قسمين من التكرار، وهما المفيد وغير المفيد؛ فيحدد مواضع الإفادة وغيرها لهذين القسمين من خلال تمييزه بين ما يقصده النحويون من إفادة فى تركيب الجمل، وبين ما يتغياه البلاغيون من إفادة فى تنسيق الألفاظ بقوله «ولا أعني بالمفيد ههنا ما يعنيه النحاة، فإنه عندهم عبارة عن اللفظ المركب، إما من الاسم مع الاسم، بشرط أن يكون للأول بالثاني علاقة معنى يسع مكلفًا جهله، وإما من الاسم مع الفعل التام المتصرف على هذا الشرط أيضًا، وإما من حرف النداء مع الاسم، فهذا هو المفيد عند النحاة.»(٢٤)

وبعد أن أوضح مقصد النحاة من الكلام المفيد يوضح مذهب البلاغيين فى التكرار المفيد متابعًا كلامه بقوله « بل مقصودي من المفيد أن يأتي لمعنى، وغير المفيد أن يأتي لغير معنى، واعلم أن المفيد من التكرير يأتي في الكلام تأكيدًا له، وتشييدا من أمره، وإنما يفعل ذلك للدلالة على العناية بالشيء الذي كررت فيه كلامك، إما مبالغة في مدحه أو في ذمه أو غير ذلك، ولا يأتي إلا في أحد طرفي الشيء المقصود بالذكر، والوسط عار منه؛ لأن أحد الطرفين هو المقصود بالمبالغة إما بمدح أو ذم أو غيرهما، والوسط ليس من شرط المبالغة، وغير المفيد لا يأتي في الكلام إلا عيا وخطلا من غير حاجة إليه».(٢٥)

٢٤ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)،تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - القاهرة ، ٤/٣

٢٥ - نفسه ،٤/٣

وهو هنا يضع أيدينا على شرط مهم للتكرار المفيد؛ وهو أن يأتى لمعنى التأكيد وهذا الكلام يتماس مع حديث الزبيدى الذى نوهت هو التجديد للفظ الأول وأنه يفيد ضربًا من التأكيد(٢٦).

بل نجده يشير إلى الترديد حينما يربط هذه الظاهرة بنوع آخر أخذ من التكرار شرعة له فى الإفهام إلى الحد الذى يجعله من دقائق علم البيان، فقد أردف تكرار الحرف بنوع قد يختلط به، كما يحكى فى كتابه وهو تكرار المعانى والألفاظ، يقول فى هذا المقام «واعلم أن هذا النوع من مقاتل علم البيان، وهو دقيق المأخذ.،وحده هو: دلالة اللفظ على المعنى مردداً، وربما اشتبه على أكثر الناس بالإطناب مرة، وبالتطويل أخرى، وأما التكرير وهو ينقسم قسمين: أحدهما يوجد في اللفظ والمعنى، والآخر يوجد في المعنى دون اللفظ. فأما الذي يوجد في اللفظ والمعنى فكقولك لمن تستدعيه «أسرع أسرع» ومنه قول أبي الطيب المتنبى

ولم أر مثل جيراني ومثلي ... لمثلي عند مثلهم مقام، وأما الذي يوجد في المعنى دون اللفظ فكقولك: «أطعني ولا تعصني». فإن الأمر بالطاعة نهي عن المعصية.»(٢٧)

والمتبدى من حديث ابن الأثير عن تكرار المعانى بالألفاظ بما يقترب –عند بعضهم– من الإطناب والتطويل بعلم البيان، فإننا نجد أن هذا الحديث يحتاج إلى شيء من التوضيح؛ فإذا رجعنا إلى القرن الرابع عند أبى الهلال العسكرى ، لوجدنا حديثه– ربما– تفسيرًا لهذا النص، من خلال نص يسبقه زمانيًا عند العسكرى فى معرض حديثه عن فضل

٢٦ - ينظر : مادة (كرر) من دراستنا فى تاج العروس وتعليقى عليها فى مقدمة الباب حينما تحدثت عن جهود اللغويين.

٢٧ - المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ)،مرجع سابق،٣/٣

الإطناب، الذى قد يتخذ منه التكرار تُكأة له من خلال اعتماده على وسيلة تأكيد المعنى للسامع بقوله « قال أصحاب الإطناب: المنطق إنما هو بيان، والبيان لا يكون إلا بالإشباع، والشفاء لا يقع إلّا **بالإقناع**، وأفضل إلّا بالاستقصاء»(٢٨)

ونخلص من هذا النص أن الإطناب إنما الفضل يرجع فيه إلى الإبانة والتوضيح؛ ليكون الكلام على قدر من التشبع عبر تغذية متنه بعبارت مفسرة لأصولها، ونظن بهذا الرأى أن ابن الأثير فى قوله عن هذا النوع أنه من مقاتل علم البيان، قد يقصد أن تأثيره فى النفوس كتأثير البيان فى جذب الأذهان وفى التفسير وتقريب الصور .

فإذا كان كذلك فى البيان فإنه لا يخرج عن الإشباع والاستقصاء؛ لأن البيان لا يكون إلا بالإشباع الذى هو حاصل ثمرة الإطناب الهادف فى تشبع مواطن الكلم بجمل تفسرية وتأكيدية قد تأتى على وتيرة التكرار الدلالى للإقناع، وهذا هو أصل من أصول البلاغة؛ لأنها الإيجاز فى غير عجز، والإطناب فى غير خطل(٢٩) زيادة عن أن»الإطناب بلاغة؛ والتطويل عىّ؛ لأن التطويل بمنزلة سلوك ما يبعد جهلا بما يقرب، والإطناب بمنزلة سلوك طريق بعيد نزه يحتوى على زيادة فائدة»(٣٠)

بل قد يستند أبو الهلال إلى أبعد من ذلك حينما يربط الإطناب بالفهم والتفهيم فمن أجل ذلك وجدناه، قد أورد رأى الخليل حينما قال عن أن الكتاب يختصر ليحفظ ويبسط ليفهم، وأورد -كذلك- قول أبي عمرو ابن العلاء حينما سُئل عما إذا كانت العرب تطيل؟ فقال: نعم؛ كانت

٢٨ - الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)
، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤١٩ هـ ،ص ١٩٠
٢٩ - ينظر: نفسه ،ص١٩٠
٣٠ - الصناعتين،مرجع سابق،١٩١

تطيل ليسمع منها، وتوجز ليحفظ عنها.(٣١)؛ فـ «كلام الفصحاء إنما هو شوب الإيجاز بالإطناب والفصيح العالى بما دون ذلك من القصد المتوسّط؛ ليستدلّ بالقصد على العالى، وليخرج السامع من شىء إلى شىء **فيزداد نشاطه وتتوفّر رغبته، فيصرفوه فى وجوه الكلام إيجازه وإطنابه، حتى استعملوا التكرار ليتوكّد القول للسامع.**»(٣٢)

وهذا الحديث جد عظيم؛ إذ إنه فيه يقف صاحبه على خاصية بالغة الأهمية وهى أثر هذه الظاهرة فى تحريك المتلقى من خلال هذه التشكيلات؛ مما يؤدى إلى زيادة نشاطه ورغبته من خلال هذه الجمل المفسرة والموضحة؛ وهذا يبدو جليًا من خلال عبارته **(حتى استعملوا التكرار ليتوكد القول للسامع)** .

وهو –هنا– لا يرصد المقام فحسب لكنه يتطرق إلى تأثير المقال في المتلقى ، ولهذا الأثر البليغ وجدنا التكرار «قد جاء فى القرآن وفصيح الشعر منه شىء كثير، فمن ذلك قوله تعالى: كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. وقوله تعالى: فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْراً فيكون للتوكيد كما يقول القائل: ارم ارم، واعجل اعجل».(٣٣)

فضلا عن أن توظيفه بهذه البلاغة تمنحه الأثر البلاغى للإيجاز نفسه فى الإفهام والتبليغ؛ لأن»الإطناب إذا لم يكن منه بدّ إيجاز؛ وهو فى المواعظ– خاصّة– محمود؛ كما أنّ الإيجاز فى الإفهام محمود ممدوح والموعظة كقول الله تعالى: أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا بَياتاً وَهُمْ نائِمُونَ. أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ. أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخاسِرُونَ فتكرير ما كرّر من الألفاظ اهنا فى غاية حسن الموقع.(٣٤)

٣١ - ينظر:نفسه،١٩٢
٣٢ - نفسه ،ص١٩٣
٣٣ - نفسه،ص١٩٣
٣٤ - نفسه، ص١٩٢

بل إن هناك فارقًا بين التطويل والحشو؛ ذلك « أن الحشو لفظ يتميز عن الكلام بأنه إذا حذف منه بقى المعنى على حاله، والتطويل هو أن يعبر عن المعاني بألفاظ كثيرة كل واحد منها يقوم مقام الآخر، فأي لفظ شئت من تلك الألفاظ حذفته وكان المعنى على حاله وليس هو لفظاً متميزاً مخصوصاً، كما كان الحشو لفظاً متميزاً مخصوصا.»(٣٥)

من أجل هذا كتب التكرار الهادف على سياقاته المتعددة أسمى معانى البلاغة والفصاحة وأجلها؛ فهو أيضًا يكون وسيلة لتأكيد المعنى لبعيد الفهم ؛ فـ» قل ما تجد قصة لبنى إسرائيل فى القرآن إلا مطوّلة مشروحة ومكرّرة فى مواضع معادة؛ لبعد فهمهم كان، وتأخّر معرفتهم»(٣٦)

وحديث أبى الإصبع (ت:٦٥٤) ليس ببعيد عما ذكرناه آنفًا؛ إذ يقول عن التكرار «هو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد»(٣٧) فهو فى هذا التعريف لم يزد فيه شيئًا عما سبقوه من فوائد لمزية التكرار فى النص؛ لكنه قد التفت إلى شيء بالغ الأهمية، وهو يتعلق بمقام اللفظة المكررة من وصف ومدح وتأكيد هذا التكرار للمقام ، إذ يُستدل بهذا على وقوعه فى غرض المدح من القرآن الكريم؛ كما فى قوله تعالى ﴿ والسابقون السابقون أولئك المقربون ﴾(٣٨) ومن السنة النبوية قول رسول الله صلى الله عليه وسلم حكاية عن أم زرع: (أبو زرع وما أبو زرع) في معرض المدح.(٣٩)

٣٥ - سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م ، ص٢١٩

٣٦ - نفسه ، ص١٩٣

٣٧ -تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ)،تحقيق: الدكتور حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة - المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي ،(د.ت)، ص٣٧٥

٣٨ - القرآن الكريم:سورة الواقعة /١١.. ينظر: تحرير التحبير، ص٣٧٦

٣٩ - ينظر: تحرير التحبير، ص٣٧٦

ولا ريب فى أن وقوع هذه المزية فى القرآن الكريم، وفى السنة النبوية الشريفة، بخاصة فى غرض المدح يؤكد شيئًا مهمًا وهو – ربما– كثرة وجودها فى مقام المدح عن الأغراض الأخرى؛ وهذا– ربما– ما جعل أبو الإصبع يتحرى هذا المقام – أعنى مقام المدح – فى القرآن الكريم والسنة الشريفة.

بل قد يذهب أبو الإصبع إلى أبعد من ذلك حينما يقع على صنف آخر من مواطن التكرار؛ وهو يتركز فى» الأسماء المضمرات أو المبهمات، كما يجيء بالمظهرات كقول الهذلي طويل:

رفوني وقالوا يا خويلد لاترع ... فقلت وأنكرت الوجوه هم هم»(٤٠)

وهو فى هذا يؤكد كثرة وقوعه فى سياق المدح، كما أثبت غيره من البلاغيين لكنه فى تعريفه للتكرار يفصله عن الترديد، وهو « أن يعلق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردها بعينها ويعلقها بمعنى آخر، كقوله سبحانه وتعالى: ﴿ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ ۘ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ ﴾ (٤١) فالجلالة الأولى مضاف إليها، والثانية مبتدأ به.»(٤٢)

ويقف على نوع آخر يسمى بالترديد المتعدد، وهو «أن يتردد حرف من حروف المعاني، إما مرة أو مرارًا، وهو الذي يتغير فيه مفهوم المسمى لتغير الاسم: إما لتغاير الاتصال؛ أو تغاير ما يتعلق بالاسم، ومثال هذا النوع قوله تعالى: « ومن يتولهم منكم فإنه منهم « فإن اتصال من بضمير المخاطبين الغائبين في الموضعين مع ما تضمنت مَن

٤٠ -تحرير التحبير،مرجع سابق، ص٣٧٦
٤١ - الأنعام/١٢٤
٤٢ - تحرير التحبير ،،ص٢٥٣

مِنْ معنى الشرط أصارت المؤمنين كافرين عند وقوع الشرط، وقد يرتد حرف الجر في الجملة من الكلام»(٤٣)

ونجده يدرأ اللبس الذى قد يقع بين الترديد، ونوع آخر يقترب منه أطلق عليه التعطف بقوله «قد يلتبس الترديد الذي ليس تعددًا من هذا الباب بباب التعطف؛ والفرق بينهما: أن هذا النوع من الترديد يكون في إحدى قسمي البيت تارة وفيهما معًا مرة، ولا تكون إحدى الكلمتين في قسم والأخرى في آخر، والمراد بقربهما أن يتحقق الترديد، والتعطف وإن كان ترديد الكلمة بعينها، فهو لا يكون إلا متباعدًا، بحيث تكون كل كلمة في قسم.»(٤٤)

ويوضح الصلة بين هذين النوعين وبين التكرار بقوله» والترديد يتكرر، والتعطف لا يتكرر، والترديد يكون بالأسماء المفردة، والجمل المؤتلفة والحروف، والتعطف لا يكون إلا بالجمل غالبًا، والفارق بين الترديد والتكرار أن اللفظة التي تكرر في التكرار لا تفيد معنى زائدًا، بل الأولى هي تبيين للثانية وبالعكس، واللفظة التي تتردد تفيد معنى غير معنى الأولى منهما، واشتقاقهما مشعر بذلك، لأن الراد من وجه لا يبلغ إلا الموضع الذي أراده، والكار هو الذي انتهى إلى الموضع المراد، وكر راجعًا، ومنه الكر والفر.»(٤٥)

ويتابع حديثه عن الترديد منتزعًا منه نوعًا آخر» يسمى ترديد الحبك، ويسمى بيته المحبوك، وهو أن تبنى البيت من جمل ترد فيه كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية، وكلمة من الثالثة في الرابعة، بحيث تكون كل جملتين في قسم، والجملتان الأخيرتان غير الجملتين الأوليين

٤٣ - نفسه، والصفحة نفسها.
٤٤ - نفسه ،ص٢٥٤
٤٥ - تحرير التحبير،مرجع سابق،ص٢٥٥

في الصورة، والجمل كلها سواء في المعنى، كقول زهير بسيط

يطعنهم ما ارتموا حتى إذا اطعنوا ... ضارب حتى إذا ما ضاربوا اعتنقا

فقد ردد كلمة من الجملة الأولى في الجملة الثانية، وردد كلمة من الجملة الثالثة في الجملة الرابعة ثنتان في كل قسم، وكل جملتين متفقتان.» (٤٦)

وإذا كان أبو الإصبع قد وقف على أشكال متعددة للتكرار، وبين أهمية الترديد فى تشكيل اللفظ، فإن ابن معصوم قد فصل القول فى أصناف التكرار التى تجلب المنفعة الدلالية للسياق يقول مميزًا – فى بداية حديثه – بين الترديد والتكرار(ت ١١٢٠هـ) بقوله» والفرق بين هذا النوع– يقصد الترديد– وبين التكرار: أن اللفظة التي تتكرر ولا تفيد معنى زائدًا غير معنى الأولى هي التكرار، واللفظة التي تردد فتفيد بمتعلقها معنى آخر غير معنى الأولى هي الترديد.»(٤٧)

ونجد ابن معصوم يقول عن التكرار فى موضع آخر من كتابه مميزًا بين اسمية التكرار و مصدرية التكرير بقوله « التكرار وقد يقال التكرير ، فالأول اسم ، والثانى مصدر من كررت الشيء إذا أعدته مرارًا ، وهو عبارة من تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة»(٤٨)

و ابن معصوم بعدما أوضح مفهوم التكرار ، نجده يسهب فى القول ويضع أيدينا على نقاط مهمة تتصل بدلالة اللفظ المكرر فهو – كما يرى– يفيد التوكيد ويستدل على هذا بقوله تعالى﴿ **كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ثُمَّ**

٤٦ ـ نفسه،والصفحة نفسها

٤٧ ـ أنوار الربيع في أنواع البديع ،السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى ١٠٥٢-١١٢٠ هـ ، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادى شكر ،مكتبة العرفان كربلاء العراق ، ط١ ،(د.ت)، ٣/ ٣٦١

٤٨ ـ نفسه، ٣٤٥/٥

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ (٤٩) ، ويفيد كذلك زيادة التنبيه على ماينفى التهمة والإيقاظ من سنة الغفلة ، ليكمل تلقى الكلام بالقبول ويمثل لهذا بقوله تعالى ﴿ **وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ﴾** (٥٠) فإنه كرر فيه النداء لذلك(٥١)

فابن معصوم قد حدد بهذا فائدتين للتكرار وهما التوكيد والتنبيه ، وهو هنا يشير بقوله إلى نقطة بالغة الأهمية تتصل **بمقام المتلقى** ، و يذهب إلى أبعد من هذا حينما يبين أثر هذا التنبيه في موقف المتلقى من هذا التكرار؛ حينما يقول (ليكمل تلقى الكلام بالقبول) وهى إشارة واضحة لتأثير التكرار في المتلقى.

بل قد يذهب إلى ربط التكرار برابط بقوله عن دلالة التكرار» ومنها تذكر ما قد بعد بسبب طول الكلام ، وهذا التكرير قد يكون مجردًا عن رابط كما فى قوله تعالى﴿ **ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِن بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ** ﴾ (٥٢) ... وقد يكون مع رابط كما فى قوله تعالى﴿ **لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ**

٤٩ -القرآن الكريم:سورة التكاثر/٣-٤
وفي هذه الآية يقول " أن التكرير تأكيد للردع والإنذار فقوله :كلا : ردع وتنبيه ، على أنه لاينبغى للناظر لنفسه أن يكون الدنيا جميع همه وأن لايهتم بدينه وسوف تعلمون :إنذار ليخافو فينتبهوا من غفلتهم ،أى سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول لقاء الله وفى الإتيان بلفظ (ثم) دلالة على الإنذار الثانى أبلغ من الأول كما تقول لمن تنصحه أقول لك لا تفعل ثم لا تفعل وذلك لأن الأصل ثم للدلالة على تراخى الزمان لكنها قد تجئ لمجرد التدرج فى درج الارتقاء من غير اعتبار التراخى والبعد بين تلك الدرج، ولا لأن الثانى بعد الأول فى الزمان ، وذلك إذا تكرر الأول بلفظ الأول نحو والله ثم والله . كقوله تعالى (وما أدريك ما يوم الدين ثم ما أدريك ما يوم الدين)(الانفطار / ١٧ و١٨) وقول كثير عزة:
فوالله ثم الله ما حل قبلها ولا بعدها مخلوقة حيث حلت (أنوار الربيع، ٣٤٥/٥، ٣٤٦)
٥٠ - غافر/٣٨ و٣٩
٥١ - ينظر : أنوار الربيع ،مرجع سابق، ٣٤٥/٥- ٣٤٦
٥٢ -القرآن الكريم:سورة النحل /١١٠

الْعَذَابِ﴾ ([٥٣]) فقوله : فلا تحسبنهم ، تكرير لقوله : لا تحسبن الذين يفرحون ، لبعده من المفعول الثانى»([٥٤])

وهو هنا يقف على تأثير اللفظ المكرر فى ترابط معنى الكلام المطول نحويًا، الذى قد يفصل بينهما -أعنى اللفظين المكررين- عدة كلمات فقد تحتاج الجملة، نظرًا لهذا التطويل إلى رابط يشير إلى اتصال اللفظ المكرر الثانى بالأول، أو قد لايحتاج سياق الجملة لهذا، كما مثل لهذين الضربين ابن معصوم فى حديثه السالف آنفًا بالآيتين الكريمتين.

ولم يقف جهد ابن معصوم عند هذا الحد، بل نجده يواصل حديثه عن دلالات التكرار؛ رابطًا إياها بأغراض الكلام حين يقول إن من ضمن فوائد التكرار، زيادة التوجع والتحسر ويمثل لهذا الضرب بقول الحسين بن مطير :

فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض خطت للسماحة مضجعا
ويا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مرتعا

ويوضح - أيضًا - أن التهويل من ضمن الدلالات التى يمتح منها التكرار شرعة له فى سياقه مثل قوله تعالى ﴿ **الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ**﴾ ([٥٥]) ﴿ **والْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ**﴾ ([٥٦]) ومن دلالاته أيضًا - كما يذكر ابن معصوم فى معرض حديثه عنه- زيادة الاستبعاد كما فى قوله تعالى﴿ **هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ**﴾ [57] ويساعد -كذلك- فى زيادة المدح مثل قول أبى تمام :

٥٣ - القرآن الكريم: سورة آل عمران /١٨٨
٥٤ -أنوار الربيع ،مرجع سابق،٥/ ٣٤٦
٥٥ -القرآن الكريم: سورة الحاقة /١و٢
٥٦ - القرآن الكريم : سورة القارعة /١و٢
٥٧ - القرآن الكريم:سورة المؤمنون /٣٦

بالصريح الصريح والأروع الأر وع ومنهم وباللباب اللباب

ومنها التعظيم كقوله تعالى﴿ **وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ**﴾ (٥٨) ومنها التلذذ بذكر المكرر فى قوله :

سقى الله نجدًا والسلام على نجد ويا حبذا نجد النأى والبعد

نظرت إلى نجد وبغداد دونه لعلى أرى نجدا وهيهات من نجد

فكرر لفظة نجد خمس مرات لتلذذه بذكرها... ومنها التنويه بشأن المذكور،

كقول أبى النبيه:

الطاهر النسب ابن الطاهر النسب اب ـن الطاهر النسب ابن الطاهر النسب (٥٩).

وبهذا يكون ابن معصوم قد وقف على فوائد كثيرة للتكرار، منها التأكيد والتنبيه وربطه بأغراض الكلام من مساهمته فى زيادة التوجع والحسرة، وزيادة المدح والتنويه كذلك بشأن الممدوح، وبهذا فقد أولاه الرجل عناية كبيرة فى دراسته؛ مما يبرهن على أهمية هذه الظاهرة فى بناء العمل الفنى، ورصف مراميه، وحبك ألفاظه ،وهندسة عبارته المنسوجة لهذا المتلقى؛ للتأثير فيه وامتلاك ذهنه من خلال الجمل المتكررة التى تعد بمثابة الناقوس الذى يدق فى أذنيه ويعاود التكرار؛ لكى ينتبه لهذه الظاهرة التى قد تحمل رسالة محددة له .

ويذهب الكفوى فى حديثه عن فائدة التكرار إلى أبعد من هذا حينما يجعله فى مرتبة أسمى من دلالة التأكيد إذ نجده يقول « والتكرير

٥٨ ـ القرآن الكريم: سورة الواقعة/٢٧

٥٩ ـ يرجع : أنوار الربيع،مرجع سابق، ٣٤٦/٥، ٣٤٧

أبلغ من التَّأْكِيد، وَله فَوَائِد مِنْهَا: التَّقْرِير وَقد قيل: الْكَلَام إِذا تكَرر تقرر»بل ويشير أيضًا إلى أثر التكرار فى إقناع المتلقى فى معرض حديثه عن فوائد التكرار التى « مِنْهَا زِيَادَة التَّنْبِيه على مَا يَنْفِي التُّهْمَة ليكمل تلقي الْكَلَام بِالْقبُولِ، وَهُوَ مَعَ التَّأْكِيد يجامعه ويفارقه وَيزِيد عَلَيْهِ وَينْقص عَنهُ، فَإِن التَّأْكِيد قد يكون تَكْرَارا وَقد لَا يكون، وَقد يكون التكرير غير تَأْكِيد صناعَة وَإِن كَانَ مُفِيدا للتَّأْكِيد معنى وَمِنْه مَا وَقع فِيهِ الْفَصْل بَين المكررين كَقَوْلِه تَعَالَى: {إِن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نسَاء الْعَالمين} والتأكيد لَا يفصل بَينه وَبَين مؤكده(٦٠)

وكلام الكفوى هذا يجب الوقوف عليه كثيرًا والتمعن فيما أورده عن هذه الظاهرة فإذا ارجعنا البصر فى كلامه لوجدنا كلامه يحاول أن يتكأ على ميزة خاصة بالتكرار باعتباره آلية بلاغية عظيمة فى إقناع المتلقى ،وهذا ما تبدى من عبارته « على مَا يَنْفِي التُّهْمَة ليكمل تلقي الْكَلَام بِالْقبُولِ» وهى عبارة جد عظيمة تصف أثر الألفاظ المكررة على مقام المتلقى. ومن هذا فالتكرار –على هذه الشاكلة– يمكن أن يدخل ضمن الوجوه التى تعلى من جمال الجملة، فبالإضافة لكل هذه الفوائد فإنه ينتج شكلا وإيقاعًا من خلال معمارية ألفاظه التى اتخذت إطارها الجمالى من هندسة العبارة برمتها؛ ولهذا فهو قرين الكلام البديع الذى قد يخلع « على اللفظ خلعة البهجة والبهاء فتعرف من علم البديع؛ إذ به نعرف كيف نحلي من اللفظ جيده العاطل بما يجليه للنواظر، ويبرزه في صورة تبهج القلب، وتأسر اللُّب»(٦١)

لم نذكر ما سبق من باب تبين الأثر البلاغى للظاهرة الذى ينعكس على موقف المتلقى أو المستمع فحسب، بل لنجعل كل هذه الجهود

٦٠ ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ) مرجع سابق،، ص٢٧٠
٦١ ـ المنهاج الواضح للبلاغة،المؤلف: حامد عونى، المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت) ،٧١/٣

تقف شامخة للرد على كل من لم يعطها حقها، سواء أكان هذا فى الدرس أم الحكم؛ إذ نقف مندهشين أمام قول نازك الملائكة حينما قالت»لا شك في أن التكرار، بالصفة الواسعة التي يملكها اليوم في شعرنا، موضوع لم تتناوله كتب البلاغة القديمة التي ما زلنا نستند إليها في تثمين أساليب اللغة. فقصارى ما نجد حوله أن أبا هلال العسكري يتحدث عنه حديثًا عابرًا في كتاب «الصناعتين» وكذلك يصنع ابن رشيق في «العمدة»(٦٢)

ونقول كيف يكون هذا الحكم منصفًا؟!!! على جل ما جاء فى تراثنا البلاغى الذى أوردته آنفًا، والذى لم أورده برمته ،ولندع للقارئ المتأمل أن يمعن النظر فيما أوردنا من التراث البلاغى من جهود ليحكم بها على حكم نازك السالف آنفًا، وبخاصة عند أبى الهلال العسكرى وابن رشيق.

على أية حال يمكن لنا الوقوف على عدة دلالات اتصلت بمعنى التكرار لغويا ومنها: الإعادة،الرجوع،الترديد ،العطف، المثل، وهى المعانى التى يمكن أن تحقق للرسالة كثيرًا من سمات التماسك والالتحام؛ وهو ما يعول على أهمية التكرار بالنسبة للمتلقى باعتبار أن التكرار هو «الإتيان بعناصر متماثلة في مواضع مختلفة من العمل الفنِّيّ، وهو أساس الإيقاع بجميع صوره، فنجده في الموسيقى كما نجده أساسًا لنظريَّة القافية في الشِّعر «توزيعات / حركات تكراريّة». وهو» حلقة تكراريَّة تمثل» مجموعة تعليمات متتالية يتكرّر تنفيذُها حتّى يتمَّ تحقيق شرط معيَّن إعادة الألفاظ عينها؛ لتقرير المعنى في ذهن السامع أو للترغيب أو للترهيب، كقوله تعالى: {كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ. ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ} التكاثر/ ٣، ٤.(٦٣)

٦٢ - قضايا الشعر المعاصر، نازك صادق الملائكة (المتوفى: ١٤٢٨هـ)، دار العلم للملايين، -بيروت –لبنان، الطبعة: الخامسة ،(د.ت) ص٢٧٥

٦٣ - معجم اللغة العربية المعاصرة، د أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب

ومن ثم فقد تبدى للتكرار هدفٌ بالغ يتعلق بكونه يحفظ للألفاظ شكلها وترابطها وتناغمها مع بعضها بعضا ، هذا بالإضافة إلى الإيحاءات النفسية التى تتأرجح من خلال تموضع الألفاظ داخل سياقات متعددة ، مما يؤدى هذا إلى بلاغة اللفظ وتميزه عن باقى أقرانه داخل البناء ا لفنى .

وهو ما يقره د. محمد عبد المطلب بقوله» ولا شك فى أن (النحو) بمعناه الواسع يمثل أهم مؤثر فى خلق الإطار الشكلى ، أو فى مستواه النفسي العميق ، مع إقرارنا بوجود عناصر أخرى لها دورها أيضًا ، كالنواحى الصوتية والتكرار الشكلى والدلالى ، والنبر ، وهذا كله يولد فى النهاية الشعور اللغوى الذى عن طريقه يتاح للغة أن تتقبل ظواهر تعبيرية متعددة»([٦٤])

ولما كانت أهم الدلالات التى دارت حولها دلالة التكرار عند اللغويين والبلاغيين ترجع إلى الترديد، والرجوع، والعطف والمماثلة والمشاكلة والشبه والمثلية؛ فإن فنًا بلاغيًا مثل الجناس قد يكون قريب الصلة لهذه المعانى؛ فهو لغة «: الضَّربُ من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النَحْوِ والعَرُوضِ والأَشياء جملةٌ...ويقال: هذا يُجانِسُ هذا أَي يشاكله، وفلان يُجانس البهائم ولا يُجانس الناسَ إِذا لم يكن له تمييز ولا عقل).[٦٥])، والمُجانِسُ: المُشاكِلُ).[٦٦])، و»يقولون في الأشياء المتماثلة أنها جنس واحد وهذا هو الصحيح».([٦٧])

الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨م ، ١٩١٩/٣

٦٤ - جدلية الإفراد والتركيب فى النقد العربي القديم ، د. محمد عبد المطلب ، الشركة المصرية العالمية للنشر- لونجمان ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٤ ، ص١٣٤

٦٥ - لسان العرب ،مرجع سابق،مادة (جنس)، ٧٠٠/١

٦٦ - ينظر : القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ ،مرجع سابق، .مادة (جنس)، ٥٣٧/١

٦٧ - معجم الفروق اللغوية: أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى:

ونجده كذلك يقع فى معنى المشابهة ؛ إذ يقول الكفوى» التَّجْنِيس: تفعيل من الْجِنْس، وَمِنْهُم من يَقُول من الجناس، وَمِنْهُم من يَقُول من المجانسة، لِأَن إِحْدَى الْكَلِمَتَيْنِ إِذا شابهت الْأُخْرَى، وَقع بَينهمَا مفاعلة الجنسية والمجانسة، .»([٦٨])

فإذا كانت الكلمة تشبه الأخرى من الناحية الشكلية؛ فإنه بهذا قد يغدو نوعًا مهمًا من التكرار ، وهذا الذى قد دارت عليه بعض تعريفات البلاغيين للجناس؛ فالتجنيس عند ابن المعتز «هو أن تجيء الكلمة تُجانس أُخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليها.»([٦٩])

ولعل فى استخدامه للمصدر المؤول فى جملته « أن تشبهها « وتحديده لوقوع هذا الشبه داخل الأركان الرئيسة للكلمتين من خلال تأليف مبنى حروفهما، ما يؤكد ويدعم معانى الشبه، والمثلية اللذان يمتح منهما التكرار سمته وهيكله من خلال تكرار وحدات اتخذت من معانى الشبه، والمثلية شرعة لها فى سبكها ونسجها.

وإذا كان ابن المعتز قد استخدم فى تعريفه للجناس كلمة « الإتيان» فإن صاحب الصناعتين قد راقه استخدام معنى الإيراد؛ إذ الجناس عنده يعنى به «أن يورد المتكلم كلمتين تجانس كلّ واحدة منهما صاحبتها فى تأليف حروفها على حسب ما ألّف الأصمعى كتاب الأجناس.»([٧٠]) وقد

٦٨ ـ الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)
تحقيق: عدنان درويش - محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت ،ص٢٧٥
٦٩ ـ البديع في البديع، أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ)، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص١٠٨
٧٠ـ الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ)،ت: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤١٩ هـ، ص٣٢١

يقع عند العسكرى فى نوع يقترب من التكرار بقوله» فمنه ما تكون الكلمة تجانس الأخرى لفظًا واشتقاق معنى، كقول الشاعر:

يوما خلجت على الخليج نفوسهم ... عصبا وأنت لمثلها مستام

خلجت: أى جذبت، والخليج: بحر صغير يجذب الماء من بحر كبير؛ فهاتان اللفظتان متفقتان فى الصيغة واشتقاق المعنى والبناء.»(٧١)

فالعسكرى فى حديثه هذا يقف على نوع من الجناس الذى يقع بين كلمتين متفقتين فى اللفظ والمعنى، وهذا فى حد ذاته يعد صورة من صور التكرار الذى يقع فى اللفظ والمعنى وهناك – كما يشير العسكرى أيضًا– ما « يجانسه فى تأليف الحروف دون المعنى، كقول الشاعر : فأرفق به أن لوم العاشق اللّوم.»(٧٢)

وإذا كانت المماثلة تعنى الشبه والنظير مما يجعل الكلمتين تتخذان شكلا من التكرار، فإن ابن رشيق فى عمدته قد وضعها تحت باب التجنيس بقوله من « التجنيس ضروب كثيرة: منها المماثلة، وهي: أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى، نحو قول زياد الأعجم، وقيل: الصلتان العبدي يرثي المغيرة ابن المهلب:

فانع المغيرة للمغيرة إذ بدت ... شعواء مشعلة كنبح النابح

فالمغيرة الأولى: رجل والمغيرة الثانية: الفرس، وهو ثانية الخيل التي تغير.»(٧٣)، فمن خلال حديثه هذا وبخاصة عبارته (أن تكون اللفظة

٧١ ـ نفسه،ص٣٢١
٧٢ ـ نفسه والصفحة نفسها
٧٣ ـ العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣)،مرجع سابق، ص٣٢١

واحدة باختلاف المعنى) ما يدل على مدى التقارب الشديد بين هذا، وبين التكرار الهادف الذى قد تحدث عنه البلاغيون فى دراستهم.

بل إنه يشير فى معرض حديثه إلى إشارة بالغة الأهمية عن الترديد الذى هو شريك التكرار الهادف، بقوله « والترديد: نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى»(٧٤) وهى عبارة جد مهمة إذ تتعلق مراميها بقوة الاتصال بين الترديد الذى هو نوع من أنواع التجنيس، والذى يتخذ سمت التكرار فى لفظه من دون معناه.(٧٥)

وإذا كان الشبه والمثل من أهم المعانى التى يتكأ عليها التكرار، فإن ابن سنان يذكر هذا مع الجناس مدللا بقول قدامة ابن جعفر بقوله « وقد سمى قدامة بن جعفر هذا الفن من المجانس في تلاق وتلاف المضارعة إذا كانت إحدى اللفظتين تماثل الأخرى بأكثر الحروف ولا تشابهها في الجميع.» (٧٦)

وقد أورد الباحث فحوى حديث قدامة من خلال تصرف ابن سنان من باب الوقوف على أهم الكلمات التى تدور حول التكرار، وهما التماثل والتشابه ، فإذا كان قد نفى عن اللفظتين معنى التشابه فى جميع الحروف، فإن هذا لا يمنع من وقوع هذا التشابه والتآلف فى بعض، ويوضح المجانسة المحمودة بقوله «والمحمود منه ما قل ووقع تابعًا للمعنى غير مقصود في نفسه.»(٧٧)، ومن ثم يشترك التجنيس والتكرار من خلال الهدف ؛ فـ» الأكثر أن يكون التجنيس مقصودًا إليه، مأخوذًا منه ما سامحت فيه القريحة، وأعان عليه الطبع.»(٧٨)

٧٤- نفسه ، والصفحة نفسها
٧٥- ينظر القسم الخاص من دراستنا حينما تحدثت عن التكرار والترديد
٧٦- سر الفصاحة،مرجع سابق ،ص١٩٨
٧٧- نفسه، ص١٩٨
٧٨ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣)مرجع سابق، ص ٣٣٠

وقد تحدث ابن سنان عن نوعين من المجانسة يقتربان من سمت التكرار؛ وهما مجانسة التركيب، ومجانسة التصحيف، بقوله» ومن المجانس: فن ورد في شعر أبي العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان وسماه لنا مجانس التركيب لأنه يركب من الكلمتين ما يتجانس به الصيغتان كقوله:

مطايا مطايا وجدكن منازل ... مني زل عنها ليس عني بمقلع»(٧٩)

فإذا كانت مجانسة التركيب قد وقعت عنده فى تكرار الصيغة فى (مطايا مطايا)؛ فإن مجانسة التصحيف تتخذ من تكرار رسم حروف الكلمة والخط متكأ لها بقوله عن هذا الصنف « وهذا أول طبقات المجانس لأنه مبنى على تجانس أشكال الحروف في الخط ،وحسن الكلام وقبحه لا يستفاد من أشكال حروفه في الكتابة إذ لا علاقة بين صيغة اللفظ في الحروف وشكله في الخط.»(٨٠)

وهو كلام جد مهم إذ يقف من خلاله على أشكال الحروف فى الخط ،ويفصل القول فيما بينها، وبين صياغة حروف اللفظ فى إفادتهما معانى الحسن أو القبح فى الكلام، فإذ كان هذا الذى يحدث فى رسم الحروف المتقاربة، فإن هذا لا يخرج عن وقوع التكرار فى شكل الخط ويستدلل ابن سنان على هذا النوع بقول الشاعر :

ولم يكن المغتر بالله إذ شرى ... ليعجز والمعتز بالله طالبه(٨١)

فكلمتا (المعتر والمعتز) يتخذ خطهما رسما واحدا، بيد أن صيغة

٧٩ - سر الفصاحة،ص١٩٨
٨٠- نفسه، ص ١٩٩
٨١ - ينظر ، نفسه ، والصفحة نفسها
هذا البيت من قصيدة له- يقصد الشاعر أبى عبادة- في مدح المعتز بالله وهجاء المستعين وشرى: غضب ولج والمعتز بالله إشارة إلى المستعين

حرفى (ر) و (ز) قد أخذت على عاتقها فى التصحيف والتنقيط، إلا أن الشكل والخط واحد لا يخرج عن سمت التكرار حتى وإن كان هذا التكرار يتجه ناحية الشكل من دون المعنى. وقد قارب د. الشحات بين الجناس المصحف والمضارع ،من خلال أن الجناس المصحف قد يرجع إلى المضارع إذا تقاربت الحروف المختلفة فى المخرج وقد يرجع إلى الاحق إذا تباعدت فى المخرج. (٨٢)

إذ يفرق بين المضارع والاحق من خلال أن المضارع والاحق يتحققان باختلاف نوع الحرفين فقط من دون النظر إلى مسألة النقط، ويقول أن المضارع أو اللاحق يوجد والحرفان المختلفان منقوطان ويمثل لهذا بقول الحريرى :لا أعطى زمامى لمن يحفز ذمامى، فالاختلاف فى الزاى والذال وهما منقوطان ويوجد والحرفان غير منقوطين ويمثل لهذا بقوله صلى الله عليه وسلم(الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة) فالاختلاف فى اللام والراء وهما غير منقوطين. ويوجد والحرفان مختلفان ويمثل لهذا بقوله تعالى (ذلكم بما كنتم تفرحون فى الأرض بغير الحق وبما كنتم تمرحون) فالجناس بين تفرحون وتمرحون وهما مختلفان فى الفاء والميم وأولهما منقوط وثانيهما غير منقوط. (٨٣)

أما المصحف فيتحقق بالاختلاف فى النقط مع لزوم التشابه فى الرسم بحيث إذا زال النقط اتحدت صورة الحرفين ومن ثم فلا يأتى المصحف إلا فى الحروف التى يتشابه رسمها وتختلف من حيث النقط كالدال والذال والزاى والراء والسين والشين والصاد والضاد والعين والغين وهكذا، وعلى هذا فالجناس المصحف أخص من المضارع والاحق.(٨٤)

٨٢ -ينظر: دراسات منهجية فى علم البديع ،د. الشحات محمد أبو ستيت ،الطبعة الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٤، ص٢١٠، ٢١١
٨٣ -ينظر: نفسه ص٢١٠، ٢١١
٨٤ -ينظر: نفسه ص٢١٠، ٢١١

وقد يطلق على التجنيس الذى يقع بين الحروف التى قد يعتريها التقديم والتأخير كلمة المضارعة «وهو على ضروب كثيرة: منها أن تزيد الحروف وتنقص، نحو قول أبي تمام والجرجاني يسميه التجنيس الناقص: يمدون من أيدٍ عواص عواصم وهما سواء لولا الميم الزائدة. وكذلك قوله قواض قواضب سواء لولا الباء، ومع ذلك فإن الباء والميم أختان. ومثله قول البحتري:

فيا لك من حزم وعزم طواهما ... جديد البلى تحت الصفا والصفائح ومنها أن تتقدم الحروف وتتأخر، كقول الطائي:

بيض الصفائح لا سود الصحائف، في ... متونهن جلاء الشك والريب

فقوله « الصفائح، لا سود الصحائف « هو الذي أردت.»([٨٥])

و يوضح معنى المضارعة فى موضع آخر فى كتابه من حديثه نفسه بقوله « وأصل المضارعة أن تتقارب مخارج الحروف، وفي كلام العرب منه كثير غير متكلف، والمحدثون إنما تكلفوه؛ فمن المعجز قول الله عز وجل: « وهم ينهون عنه وينأون عنه «([٨٦])

وهذه إشارة واضحة من خلال نعته لهذا الصنف بالمضارعة؛ فالمضارعة تعنى المشابهة هى الأخرى؛ فـ» المُصارِعُ: المُشْبِهُ. والمُضارَعةُ المشابهة.والمُضارعة للشيء: أَن يُضارِعه كأَنه مثله أَو شبْهه[87])".)

وهذا تبدى من قوله فى عبارته بكلمة (وهما سواء) وكذلك تبدت هذه المثلية من تعلقيه على التجانس الذى وقع بين الصفائح والصحائف

٨٥ ـ العمدة ، ص٣٢٥
٨٦ ـ نفسه ، ص٣٢٦
٨٧ ـ لسان العرب،مرجع سابق،مادة (ضرع)،٤/٢٥٨٠

بقوله هو الذى أردت أى أنها الكلمة ذاتها مع تقديم وتأخير فى ترتيب مبنى حروفها، فإذا كانت المضارعة قد وقعت بين حروف تبدو فى ظاهرها متابعدة شكليًا فحرف» هـ» فى ينهون غير حرف»ا» فى ينأون إلا أن وقوعهما فى مخرج متقارب يجذبهما إلى معانى الشبه والمثلية.

وهذا يدل على أن ثمة علاقة وثيقة بين هذا التقارب الذى قد يقع بين الجناس والتكرار، وبين تداعى الفنون البديعية مع بعضها فهذا التقارب الذى قد لمحناه فى موروثنا البلاغى من خلال هذه الدراسات لا يعنى مطلقًا اللبس، والاختلاط ولكن نظرًا لعناية البلاغيين بالتدقيق، والشرح والبيان للظاهرة سواء أكانت جناسًا أم تكرارًا وترديدًا، فنتيجة لهذا التدقيق والتفصيل أنه قد يسمح بعض الأحيان إلى تداعى بعض من الظواهر الجمالية بعضها بعضًا؛ نظرًا للعناصر الفنية التى قد تشترك بينها وهذا الذى قد لمحناه عند ابن رشيق بقوله والترديد: نوع من المجانسة يفرد له باب إن شاء الله تعالى»(٨٨) بما يدل بأنهم على قدر عال من التفحيص والتبين الحد الذى يؤدى بهذا التدقيق إلى نوع من التداعى.

بل إن كان هذا تحقق فإن التكرار يصبح له ميزة ثانية، وتأكيدا لجرسه الموسيقى فى الجملة من خلال تقاسمه الهدف مع التجنيس، وهى قضية جد مهمة تولى التكرار عناية فائقة؛ إذ يكون فى هذه الحالة قسيم التجنيس فى الأثر الجمالى الذى قد يتركه على المستمع، والمتلقى لهذا الشعر مما يجعلهما أداتين رئيستين فى الإقناع عبر استمالة المتلقى وجذب أذنه لهما .

٨٨ - العمدة في محاسن الشعر وآدابه، أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣)،مرجع سابق، ص٣٢٣

ولما كان التكرار الذى هو شريك الإيقاع له أثر فى ذلك ؛كان» الإيقاع ركيزة فن الجناس»(٨٩) من خلال تكرار الضربات ؛ فـ «الإيقاع عبارة عن تكرار ضربة أو مجموعة من الضربات بشكل منتظم على نحو تتوقعها معه الأذن كلما آن أوانها فمن الطبيعى أن يكون ترداد هذا الإيقاع متتاليا متصلا حينا أو متتاليا منفصلا حينا آخر»(٩٠) وربما هذا –أقصد أثر التكرار فى تكوين نسيج الجناس– هو الذى حدا بدكتور منير سلطان لأن يولى مسألة الإيقاع عناية فائقة من درسه، إلى الحد الذى يجعله يقول عن الجناس بأنه»مقطعان صوتيان متفقان فى الإيقاع مختلفان فى المدلول.»(٩١)

والحقيقة أن هذا التعريف جد مهم؛ إذ إنه ينظر إلى جمالية التكرار من خلال إيقاعية الجناس التى تؤدى بدورها إلى إيقاع ذهن المتلقى فى جو من الأريحية والتآلف مع النص، والتى جاءت فى ثوب موسيقى جميل إلى أن تصل إلى ذهن المتلقى على هذه الشاكلة؛ لتفرغ هدفها ورسالتها ومن ثم تحصل الفائدة المرجوة

وقد وقف الإمام اللغوى الحجة عبد القاهر الجرجانى على نمط مهم حينما ميز بين الجناس الحسن وغيره بقوله عن الحسن» ورأيْتَ الآخَرَ قَدْ أعاد عَلَيْكَ اللّفظة، كأنَّهُ يخدَعُك عن الفائدة وقد أعطاها، ويُوهمُك كأنَّهُ لم يَزِدْكَ وَقَدْ أحْسَنَ الزيادة ووفّاها، فبهذه السّريرة صار التجنيس – وخصوصاً المستوفى منه المتّفِقَ في الصورة – من حَلْي الشعر، ومذكوراً في أقسام البديع.»(٩٢)

٨٩- البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان ، منشأة معارف الأسكندرية ١٩٨٦ ،ص٧٣
٩٠ -نفسه والصفحة نفسها
٩١ - نفسه ، ص٧٦
٩٢- أسرار البلاغة، تأليف الشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى النحوى(ت:٤٧١= أو سنة ٤٧٤ هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجى١٩٩١ ، ص٥

وحديث عبد القاهر هذا يوضح دور التكرار المخادع الذى أشار له بقوله «قد أعاد عليك اللفظة»فى إيقاع الخديعة بذهن المتلقى وهذا ما تبدى من قوله»كأنه يخدعك عن الفائدة».أى أنه لم يزد إلا التأكيد و»إذا كانت الكلمة الثانية لاتفيد إلا التوكيد ، فيخرج هذا من إطار الاختلاف فى المعنى لأن المعنى الأول لم يضف إليه شىء بقدر ما تأكد حدوثه وتعمق أثره» (٩٣)

إذ يلزم فى الجناس الاختلاف وإن كان صاحب هذا الحديث يخص بكلامه الجناس الاشتقاقى إلا أن هذا لا يخرج عن مجال إعمال الجناس بشكل عام ؛ فاللفظ الثانى يجب أن يضيف دلالة جديدة غير التأكيد فحسب النابع من الإعادة والتكرار أو بعبارة د. منير سلطان أن»كل ما نطلبه من اللفظة الثانية أن تضيف معنى جديدا للفظة الأولى وإذا تحققت هذه الإضافة المعنوية تحقق شرط الاختلاف فى المعنى .»(٩٤) وهذا ما أكدته عبارة الإمام «ويوهمك أنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاها»والزيادة لا تكون إلا من خلال خروج معانى جديدة لتوفى مقصدية السياق .

وقد خص الجناس المستوفى بميزة خاصة بقوله « أمّا التجنيس فإنَّكَ لا تَسْتَحْسِنُ تجانُسَ اللَّفظتَيْن إلاَّ إذا كان مَوْقعُ مَعْنَيَيْهما من العقل موقعاً حميداً، ولم يَكُنْ مَرْمَى الجامع بينهما مَرْمىً بعيداً. (٩٥) والإمام هنا يوضح كيفية معرفة الجناس الحسن من غيره، فالجناس الحسن هو ما أوصل سامعه ومتلقيه إلى فائدة جديدة أما غيره، فإنه قد عمل على التكرير اللفظى فقط من دون إضافة فائدة جديدة للكلام .

٩٣- البديع تأصيل وتجديد ، د. منير سلطان ،مرجع سابق، ص٦٨
٩٤ - نفسه ،ص٧٧ ، ٧٨
٩٥- أسرار البلاغة، مرجع سابق ص٤،٥

وتأسيسًا على ذلك وجب أن يكون للجناس متلق واع يعى الفروق الدلالية بين الكلمة الأولى والثانية ليصل إلى حقيقة التجانس؛ وهذا يجعلنا نستطيع أن نفضل كلمتى المجانسة والتجانس فى هذا المقام ؛ إذ إن المسألة تتبدى على هذه الشاكلة بوصفها عملية مفاعلة كائنة بين لفظين، وهى أيضًا عملية انتقال من تكرار خادع موهم مؤكد إلى حصول فائدة جديدة بتجانس وتجنيس .

ومن ثم فإذا كانت المرحلة الأخيرة تتعلق بإيقاع التجانس فهى موطن حصول الفائدة الجديدة فهذا لاينفى سبق هذه المرحلة بمرحلة أخرى، وهى مرحلة ظنية خادعة تمثلت فى التكرار، وهذه الميزة قد تحدث فى الجناس المماثل التام أكثر من الأنواع الأخرى، وربما هذا السبب هو الذى دعى البلاغيون إلى أن يصفوا هذا النوع بأنه أحسن الأجناس وأدقها فقد وصفه بأنه نوع من الأنواع النادرة فى الأساليب الأدبية ويقصد الجناس المماثل والمستوفى وهما من الجناس التام(٩٦)

ولما كان التأكيد من أهم الأهداف التى قد سعى إلى تحقيقها التكرارُ؛ فإن الجناس المذيل قد أخذ من هذا الهدف شرعة له من خلال محاولة إيقاع المتلقى فى شرك هذه الخدعة عبر إصباغ التأكيد بواسطة مقام الكلمة الثانية المحلاة بالاحقة الزائدة ؛ وهنا وجه الحسن كما يقول عند د. الشحات بقول «ووجه الحسن فى (المذيل) وما سماه الخطيب (المطرف) أن السامع يتوهم قبل سماع آخر الكلمة التى فيها الزيادة أنها هى الكلمة التى مضت وقد جاء بها المتكلم للتأكيد ولكنه بعد أن ترد عليه ويتمكن آخرها فى نفسه ويعيه سمعه ينصرف عنه هذا التوهم ويعرف أنه قد حصل على فائدة جديدة ومعنى لم يرد عليه فيتمكن فى نفسه فضل تمكن.» (٩٧)

٩٦ - ينظر:دراسات منهجية فى علم البديع ،د. الشحات محمد أبو ستيت ،الطبعة الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٤، ص٢٠١

٩٧ - نفسه، ص٢١٠

وإذ أتفق مع د. الشحات فى حديثه هذا إلا أننى أرى فى الجناس التام وأخص بالذكر المماثل والمستوفى أفضلية – من خلال استمالة وإشراك المتلقى– عن هذا الذى ذكره آنفا؛ إذ إن الكلمتين تكونان بمثابة الكلمة الواحدة مما يرسخ أسباب نشوء التكرار الخادع، وهى المرحلة الأولى التى تسبق حصول الفائدة الجديدة؛ فلايكون هناك أى إعانة أو قرينة تثبت تمايز دلالة الثانية عن الأولى مما يدعم موقف الكلمتين فى إيقاع الخدعة على ذهن المتلقى، فتجعله يشارك فى فك هذه الشفرات .

ومن ثم يكون الجناس «ظاهرة تكرارية إذ هو فى الحقيقة تكرار للفظ ما ، تكرار تامًا ، أو تكرار لبعض الحروف ومع أن المعنى فى ألفاظه يكون مختلفًا فإنه يحقق جرسًا موسيقيًا ينبه الآذان والعقول وينبغى أن يستعمل على حسب الحاجة إليه لأنه إذا كثر فى الكلام صار صنعة متكلفة مفسدة لجماله.»(٩٨)

وهو هنا ينتبه إلى دور اللفظ فى تكرير صورته سواء أكان هذا التكرار كلى كأن يقع هذا فى الجناس التام أو يكون هذا التكرار متوفرًا فى بعض أحرف الكلمة كما يقع فى أنواع الجناس الأخرى ، فإنه بالرغم من هذا فإنه لا يخرج عن تكرار صورة اللفظ أو يرجع هذا للأثر الموسيقى نفسه الذى يتوفر للجناس، كما توفر للتكرار مشيرًا إلى حسن استعماله حسب حاجة الكلام وهذا الذى ربما لمحناه فى التكرار المحمود .

بل إن الجناس يمتح من ظاهرة التكرار سمته الجمالى، كما يقول د. سيد خضر «إن جمال الجناس قائم على أساس تكرار مجموعة من الحروف فى كلمتى الجناس ممايعطى الكلام جرسًا موسيقيًا محببًا معبرًا وذلك وارد فى القرآن الكريم وفى كلام العرب.»(٩٩) وعليه يمثل التكرار

٩٨- التكرار الإيقاعى فى اللغة العربية ، د:سيد خضر ، دار الهدى للكتاب ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م ، ص١٢

٩٩ - نفسه،ص١٣

مادة أساسية ومكونًا فاعلا للجناس، فالجناس يعتمد على التكرار بشكل رئيس فلم يوجد انفصال بين الجناس والتكرار بل هو توافق وتكامل بينهما .

مصادر البحث ومراجعه:

- القرآن الكريم.
- أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ): معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د.ط) ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ):المصباح المنير في غريب الشرح الكبير: المكتبة العلمية – بيروت،(د.ت).
- أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)معجم اللغة العربية المعاصرة، بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ – ٢٠٠٨م .
- أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء الحنفي (المتوفى: ١٠٩٤هـ):الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية: ،تحقيق: عدنان درويش – محمد المصري، مؤسسة الرسالة – بيروت .
- أبوبكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرجانى النحوى(ت:٤٧١= أو سنة ٤٧٤ هـ): أسرار البلاغة، تحقيق: محمود محمد شاكر،مكتبة الخانجى١٩٩١.
- حامد عونى: المنهاج الواضح للبلاغة، ، المكتبة الأزهرية للتراث، (د.ت).
- أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (المتوفى: ٤٥٨هـ):المخصص، ت: خليل إبراهم جفال، دار إحياء التراث العربي

- بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- أبوالحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي [ت: ٤٥٨هـ]: المحكم والمحيط الأعظم ،ت: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت،الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- رجاء عيد : لغة الشعر قراءة في الشعر العربي الحديث ، منشأة المعارف بالإسكندرية ، ١٩٨٥.
- زين الدين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي الرازي (المتوفى: ٦٦٦هـ) :مختار الصحاح،ت: يوسف الشيخ محمد، المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت - صيدا، الطبعة :الخامسة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م .
- سيد خضر: التكرار الإيقاعى فى اللغة العربية ، دار الهدى للكتاب ،الطبعة الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.
- السيد على صدر الدين بن معصوم المدنى ١٠٥٢-١١٢٠ هـ: أنوار الربيع في أنواع البديع ، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادى شكر ،مكتبة العرفان كربلاء العراق ، ط١ ،(د.ت)،
- الشحات محمد أبو ستيت: دراسات منهجية فى علم البديع ، ،الطبعة الأولى١٤١٤هـ - ١٩٩٤
- ضياء الدين بن الأثير، نصر الله بن محمد (المتوفى: ٦٣٧هـ):المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة . القاهرة .
- أبوالعباس عبد الله بن محمد المعتز بالله ابن المتوكل ابن المعتصم ابن الرشيد العباسي (المتوفى: ٢٩٦هـ):البديع في البديع، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- عبد العظيم بن الواحد بن ظافر ابن أبي الإصبع العدواني، البغدادي ثم المصري (المتوفى: ٦٥٤هـ): تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق: الدكتور حفني محمد

شرف، الجمهورية العربية المتحدة – المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي ،(د.ت).
- عبد الهادى بن ظافر الشهرى: استراتيجيات الخطاب ، دار الكتاب الجديد المتحدة– لبنان،الطبعة الأولى ٢٠٠٤
- أبوعلى الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ): العمدة في محاسن الشعر وآدابه ،تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل،الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- علي بن جعفر بن علي السعدي، أبو القاسم، المعروف بابن القَطَّاع الصقلي (المتوفى: ٥١٥هـ): كتاب الأفعال: عالم الكتب،الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م .
- أبوالقاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (المتوفى: ٥٣٨هـ):أساس البلاغة، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان،الطبعة: الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م .
- مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ):القاموس المحيط، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة،بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان،الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ): تاج العروس من جواهر القاموس: تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ،(د.ت)
- محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (المتوفى: ٤٦٦هـ): سرالفصاحة، ، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ_١٩٨٢م .
- محمد عبد المطلب: جدلية الإفراد والتركيب فى النقد العربي القديم ، ، الشركة المصرية العالمية للنشر– لونجمان ، الطبعة الثانية ،٢٠٠٤
- محمود بن حمزة بن نصر، أبو القاسم برهان الدين الكرماني،

ويعرف بتاج القراء (المتوفى: نحو ٥٠٥هـ):أسرار التكرار في القرآن المسمى البرهان في توجيه متشابه القرآن لما فيه من الحجة والبيان: ،تحقيق: عبد القادر أحمد عطا،مراجعة وتعليق: أحمد عبد التواب عوض، دار الفضيلة،(د.ت).

- منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد ، منشأة معارف الأسكندرية ١٩٨٦.
- نازك صادق الملائكة (المتوفى: ١٤٢٨هـ): قضايا الشعر المعاصر، ، دار العلم للملايين –بيروت –لبنان، الطبعة: الخامسة ،(د.ت) .
- أبونصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، ،ت: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت،الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ):الفروق اللغوية ،حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر ،(د.ت).
- أبوهلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (المتوفى: نحو ٣٩٥هـ): الصناعتين، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العنصرية - بيروت، ١٤١٩ هـ.